

المؤسسات التعليمية وأثرها في بلورة فكر عصر النهضة الأوربية

- دراسة في تحديد المقدمات والنتائج -

د. رسول شمخي جبر

كلية الآداب - جامعة ذي قار

د. محمد حسين زبون

كلية التربية - جامعة ميسان

الأوربية .وواحدة من ابرز المؤسسات التي ساهمت في تهيئة المجتمع الأوربي لتقبل الأفكار الجديدة، وساهمت في خلق وتطوير الأفكار لهذا الانتقال هي المؤسسات التعليمية بما أفرزته من معلومات ونظريات وصقل وتنمية للإمكانات الفردية ،وقد ولدت الأجواء العلمية الأكاديمية والمناقشات الجادة بين الطلاب والأساتذة الرغبة في تغيير البنية الفكرية للمجتمع الأوربي،وهذا ما حدث فكانت النهضة بمظاهرها المختلفة .

المقدمة: لم تكن النهضة الأوربية حديثاً عابراً في الحياة الأوربية، وإنما كانت انقلاباً هز المجتمع الأوربي ساعد في تغيير الأفكار والعقائد وأنظمة الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. أن النهضة الأوربية ترجع بجذورها إلى العصور الوسطى ،وبالتالي فأن نواة وبذور النهضة وجدت تربة صالحة لها في عقلية العصور الوسطى وهذا ما يدفعنا إلى التأكيد بان العصور الوسطى لم تكن عصوراً مظلمة بالمعنى المطلق ، وإنما كانت فيها إبداعات علمية نضجت بمرور الوقت،فكانت النهضة

أن النتائج التي تمخضت عن حركة الانبعاث الأوربية والمنجزات المهمة التي حققتها على مستوى التاريخ البشري، جعلت من الدراسات والبحوث التاريخية عاجزة عن إعطاء وصف دقيق وموضوعي لهذا الحدث، ولربما يعود ذلك إلى تناول الموضوع بصيغة تقليدية تعتمد في منهجها على تناول الموضوع بطرق عامة دون تجزئته والوقوف عن كل بعد ودافع وسبب على حدة .

المؤسسات التعليمية في العصور الوسطى: اهتمت الديانة المسيحية بنشر التعليم (١)، وكانت التربية المسيحية تؤكد على تعليم معتقبيها إقامة الشعائر والعقائد وما ينبغي أن يعرفه كل مسيحي من أمور الدين (٢)، وقد أنشأت الكنيسة لذلك التدريب والتعليم أمكنة خاصة عرفت باسم مدارس التعميد (٣).

وفي أوائل القرن الثاني الميلادي انتشرت مدارس التعميد ، وبمرور الوقت لم يعد منهجها في التربية المسيحية قادراً على سد متطلبات أتباع الكنيسة (٤)، ويعود السبب في ذلك إلى تصادم الفكر المسيحي بالأفكار الفلسفية الإغريقية، فكان من الضروري أعداد القساوسة ورجال الكنيسة لمجابهة الفلسفة الإغريقية، وذلك بتربيتهم تربية إغريقية دينية (٥).

وعلى هذا الأساس تم تأسيس مدارس اللاهوت، ومن الملاحظ أن هذه المدارس كانت بإدارة القساوسة، وكان الغرض منها تخريج رجال مؤمنين بتعاليم الدين النصراني، وعندما قررت مجالس الكنائس تنظيم حياة القساوسة انعكس ذلك على تلك المدارس ، وهذا يعني أن مقاليد التربية كلها بأيدي الكنيسة وتحت إشرافها (٦).

وعلى أية حال فإن تلك المدارس ظلت قليلة وظل التعليم بها أولياً مقصوراً على الرهبان والأولاد الذين وهبوا حياتهم للرهبنة حتى نهاية القرن الثامن الميلادي (٧) ، ألا أنها مع ذلك كانت المؤسسات التعليمية الوحيدة التي تقوم بمهام التعليم الموجه تقريباً وهذا ما يدفعنا إلى التأكد بان هذه المدارس حفظت الكثير من العلوم من الضياع والنسيان .

وخطت هذه المدارس خطوات إلى الإمام في عهد شارلمان (٨)، إذ أن من الأمور التي اهتم بها ، هي زيادة عدد المدارس لتكون جزءاً من نشر العلوم والمعرف (٩)، وكان هذا بدافع من الكنيسة نتيجة لكثرة الأخطاء التي وصلت إلى الكتاب المقدس (١٠)، ولكي يحقق شارلمان هذا الهدف فإنه استقدم بعض الأساتذة المشهورين من مختلف أصقاع أوربا، وكان من أبرزهم العالم الانكليزي الكوين (١١)، الذي أسس مدرسة تدعى (تور) وأصبحت فيما بعد مركزاً لثقافة الإمبراطورية الكارولنجية (١٢) .

لم يقف الأمر عند قيام الكوين بتأسيس مدرسة تور بل انشأ بالقصر الإمبراطوري مدرسة انتظم في سلك طلبتها الأمراء وبناء الإشراف والرهبان، وبعد تدريبهم وتعليمهم يبعثون إلى الأديرة المنتشرة في أقطار الإمبراطورية ليقوموا بنقل تجربتهم ومعارفهم إلى الآخرين (١٣)، وهذا ما وسع من عدد المتعلمين ونشر ألمعرفة .

لكن لم تلبث مساعي شارلمان أن انهارت بموته لأنها لم تجد لها في معظم خلفائه من يكمل مشروعه الإصلاحية (١٤)، لذا كان القرنان العاشر والحادي عشر الميلادي أقل مستوى من الاهتمام بالجوانب التعليمية من القرن التاسع ، ويرجع السبب في ذلك إلى الكنيسة التي قيدت الحرية الفكرية (١٥)، ومما ولد الحاجة إلى تبني موقف جديد هو انتقال علم الكلام من العالم الإسلامي إلى أوربا ، لذلك قام علماء الكلام الأوربيين بتأسيس مدارس الجدل بغرض تقوية الدين بالعقل، وصياغة العقائد الدينية في قوالب منطقية ، والدفاع بالبراهين العقلية، وإزالة الشكوك بالمناظرة (١٦)، ورد الاعتراضات بالمجادلة. وكانت الوسيلة إلى ذلك المنطق والفلسفة اليونانية وفي هذا الصدد ، شهد القرن الثاني حدوث اتصالات ثقافية بين حضارة الشرق والغرب ، حيث ترجمت الكثير من العلوم اليونانية إلى العربية (١٧)، وتأثر المجتمع الأوربي

بعد انتقال تلك العلوم بالفلسفة اليونانية القديمة (١٨)، ولكن مما تجدر الإشارة إليه أن تلك العلوم كانت تدرس كما وردت ،دون إثباتها علمياً، وهذا هو الفرق بين العقليتين، عقلية العصور الوسطى التي كانت شعارها "اعتقد لا افهم"، وعقلية عصر النهضة التي رفعت شعار " لا يجوز الاعتقاد في شيء قبل فهمه " (١٩).

لقد حققت مدارس الجدل بأوروبا نجاحاً كبيراً ، إذ أقبل الناس على الدراسة فيها تلك المدارس، ليأخذوا عن علماء الكلام المعرفة والثقافة والقديمة ، ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى أمور منها الاتصال والتبادل الثقافي بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية عن طريق الحروب الصليبية والمراكز الحضارية الإسلامية في صقلية والأندلس، هذا من جهة وان القيود التي قيدت بها الكنيسة الحرية الفكرية كانت مثاراً للتمرد النفسي، آذ أن منعها الناس من الاطلاع على هذه العلوم كان باعثاً لهم على الإقبال عليها ، وعلى ذلك بدأت العقول تتحرر ، واتجه الناس إلى نقد ما كان شائعاً في العصور الوسطى، فقد انتقدت الكنيسة، ونمت تلك الروح النقدية في أوائل العصر الحديث والتي تطورت فبلغت نضجها في حركة الإصلاح الديني البروتستانتي (٢٠) .

وكان من الطبيعي أن تتطور مدارس الجدل إلى جامعات والتي ارتبطت نشأتها في أوروبا بنهضة القرن الثاني عشر، وبعد إنشاء الجامعات من أهم معالمها، ولم يكن اهتمام الجامعات على أحياء العلوم القديمة فقط، بل شملت ابتكارات وتجديدات، مما أسهم بشكل فعال في أحداث ثورة ثقافية معرفية في المجتمع الأوربي

أن الجامعات من أعظم المؤسسات المعرفية التي جاءت كنتيجة من نتائج نهضة القرن الثاني عشر ، ويرجع السبب في ذلك التطور في الأنظمة التعليمية الأوروبية لا تساع نطاق المعارف الذي صاحب نهضة القرن الثاني عشر ، وتطلب الأمر قيام منظمات علمية جديدة لاستيعاب

العلوم الجديدة والتي لم تستطيع المدارس التقليدية القيام ببحثها أو تدريسها على النحو اللازم(٢١) .

- نشأت الجامعات: لم يكن مصطلح الجامعة "University" يعني ما هو متعارف عليه اليوم من معنى أكاديمي، وإنما كان يشير إلى مجموعة أو اتحاد أو رابطة تشمل المشتغلين بعمل واحد أو حرفة واحدة(٢٢)، وفي القرن الثالث عشر الميلادي تطور هذا المفهوم وأصبح يدل على اتحاد علمي أو نقابة تشمل عدداً من المشتغلين بالعلم ، سواء كانوا أساتذة أو طلاباً(٢٣)، لذلك وجد في بعض المدن أكثر من جامعة، فالجامعة لم يقصد بها في هذه الحقبة المكان والبيئة العلمية التي

يتلقى فيها رجال العلم من معلمين ومتعلمين، وإنما هي الاتحاد الذي يكونه كل فريق(٢٤)، أما المكان والبيئة العلمية التي يعبر عنها بالجامعة فقد أطلق عليها في أول الأمر اسم المدرسة العامة "Stadium Central" (٢٥)، والتي كانت تستقبل الطلبة الوافدين من مختلف الجهات(٢٦)، ونود أن نبين أن مفهوم المدرسة العامة لا يعني أن تلك المدارس كانت تدرس مختلف العلوم ، كما فسره البعض خطأ، إذ أن من الثابت تاريخياً أن تلك المدارس أو الجامعات لم تضم جميع فروع الدراسات أو أنواع الكليات المختلفة . وإنما كانت تشير إلى المدارس التي انطوت على الخصائص الثلاثة التالية :-

أولاً : أن المدرسة (الجامعة) تستقبل طلاب العلم من بلاد مختلفة.

ثانياً : اجتذاب عدد من العلماء المشهورين للتدريس فيها .

ثالثاً : أنها مركز الدراسات العليا في علم من العلوم المتخصصة(٢٧) .

ويظهر هذه المؤسسة انتشر العلم وعمقت الثقافة، فبدأ الطلبة يجتمعون حول أستاذ من أساتذة الفلسفة وغيرها(٢٨)، وتتبعي الإشارة هنا إلى انه لم يكن ضرورياً وجود البناء الذي يجمع الأساتذة بطلابهم، بل كانوا يجتمعون حيث يرغبون، إلى أن أصبحت الحاجة ملحة في أيجاد رابطة تجمع بينهم وتحقق الغرض العلمي من اجتماعهم ، وهكذا تأسست الجامعات في أماكن مختلفة من أوربا، وشجعها البوابات

الذين أصدروا قرارات بإنشائها ومدّها بالمال والتسهيلات، لأن الدراسة فيها كانت ذات طابع ديني بارز حتى في العلوم الإنسانية والقانونية (٢٩).

- عوامل ترصين المؤسسات التعليمية (الجامعات): لقد انتشرت في مستهل القرن الثالث عشر وتحديداً في غرب أوروبا ثلاثة مراكز علمية جامعية وتخصص كل منها بجانب المعرفة، فيباريس (٣٠)، اشتهرت بعلوم اللاهوت والآداب وبولونيا (٣١)، بالقانون، وسالرنو (٣٢) بالطب، إن تلك المراكز منها ما كان في أصله مدارس قديمة خلعت على نفسها صفة الجامعة ومنها ما قام بتأسيسه بعض الحكام أو جماعة من الأساتذة من الجامعات لأقدم عمراً إذ وجدت عوامل تدفع الأساتذة للهجرة من جامعاتهم إلى مدن أخرى حاملين معهم تقاليد الجامعة الأم ونظمها، مما أدى إلى زيادة عدد الجامعات، ومن هذه العوامل كانت الخلاقات الداخلية في الجامعات الأم وهجرة بعض الأساتذة الغاضبين أو شعور أغيره لدى بعض المدن المجاورة ورغبتها في إقامة جامعات، لذا لجأت إلى أغراء أساتذة الجامعات لاجتذابهم والاستفادة الاقتصادية وثقافياً من قيام مجتمع جامعي بها هذا من جهة، وتزايد عدد الأساتذة المرخص لهم بالتدريس في الجامعات ووجود فائض منهم.

وقد خاضت هذه الجامعات صراعاً مع القوى المحلية للحصول على مزيد من الامتيازات والحقوق (٣٣)، ومع تطور النظم التعليمية في الجامعات تعززت قوة تأثيرها في المجتمع، إذ كان استحداث نظام الكليات ثورة في الحياة الجامعية (٣٤)، لما أوجدته من صلة جديدة بين الأستاذ والطالب، فقد أخذ الأساتذة المشرفون على الكليات يواجهون روادها اجتماعياً وعلمياً، وبذلك انبثق نظام الرواد المتقنين " Tutors (٣٥) ودعت الحاجة إلى القيام بتأسيس المكتبات في الكليات ليرجع إليها الطلاب عند استذكار دروسهم (٣٦)، وهكذا ازدادت أصفه التعليمية للكليات المنزلية، إذ بدأ أساتذة اللاهوت يحاضرون في كلية السر بون (٣٧) في القرن الخامس عشر، ثم تبعهم عدد من أساتذة الكليات الأخرى تدريجياً، وأخذت الكليات

تتحول من مجرد نزل لإيواء الطلبة إلى معاهد علمية عليا تابعة للجامعة لها أساتذتها وطلابها ونظمها (٣٨) .

من هنا نستطيع القول أن هناك ثلاث قوى استطاعت إن تقود المجتمع الأوربي على الصعيد المعرفي خلال العصور الوسطى وهي الكنيسة والإمبراطورية والجامعة ، فالروح الدينية وجدة في الكنيسة زعيمه لها ، كما أن السلطة العلمانية بلغت ذروة عظمتها في الإمبراطورية ، في حين نبعت من الجامعة مختلف العلوم التي أيقظت المجتمع الأوربي في الشطر المتأخر من العصور الوسطى ، خاصة بعد تزايد عدد الجامعات حتى بلغ عددها أكثر من ثمانين جامعة، إذ انتقلت أوروبا من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة .

وعلى هذا النمط نشأت الجامعات العديدة في طول أوروبا وعرضها من اسبانيا غرباً إلى وبوهيميا شرقاً ومن انكلترا شمالاً إلى ايطاليا جنوباً، وبما أن التعليم في تلك الجامعات كان كله باللغة اللاتينية، فقد أصبح من السهل على طلاب العلم من أي امة أوربية أن يدرسوا على يد من يرغبون فيهم من أساتذة الجامعات في أي دولة .(٣٩).

وهكذا أصبحت الجامعات تضم طلبة من مختلف الأمم وقسم هؤلاء الطلاب أنفسهم إلى طوائف أو إلى اتحادات، وقد ازدحمت هذه الجامعات بإعداد متزايدة من الطلبة (٤٠)، وتشير الإحصائيات المتوفرة إلى أن عددهم في جامعة باريس خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر بلغ قرابة ٢٥ ألف طالب، وعدد طلبة جامعة أكسفورد حوالي ٣٠ ألف طالب، وطلاب جامعة بولونيا كان بحدود ١٠ آلاف طالب . (٤١) .

ونجد من الضروري أن نشير إلى أن هذه الإحصائيات يشوبها شيء من المبالغة وعدم الدقة، وإن الأعداد الحقيقية اقل من هذه الأعداد الكبيرة.

واشتهرت كل جامعة من الجامعات الأوربية بنوع خاص من الدراسات التي تتفق مع التقاليد المحيطة بالمنطقة التي نشأت بها، ومع تخصص العلماء الذين

يحاضرون فيها، فنجد أن باريس تتفوق على غيرها في الفلسفة واللاهوت (٤٢)، بينما تتفوق كل من مونبلييه وسالرنو في الطب ، وبولونيا في دراسة القانون الروماني، واشتهرت تولوز واورليانز بدراسة القانون المدني العام الذي لم يكن يدرس إطلاقاً في باريس (٤٣).

أن كيان هذه الجامعات كان يتوقف على سعة علم الأساتذة الذين يدرسون فيها وقيمة محاضراتهم وأهميتها التي كثيراً ما كانت تتداول بسرعة، ولقد أثارت هذه الجامعات اهتمامات واسعة في أوربا، كما كان لدى طلبتها رغبة أكيدة للتزود بالمعرفة (٤٤).

وهكذا ساعدة الجامعات على بلورة فكر النهضة كنتيجة طبيعية ومنطقية لاحتكاك الثقافات بين الأساتذة في أروقة هذه الجامعات وان أساتذتها أسهموا بنصيب واضح في الربط بين الأفكار والمبادئ التي أعلنوها ونادوا بها وبين النظريات المتعلقة بعلم اللاهوت وأصبحت الأفكار تتناقش بطريقة جدليه فلسفية، وأصبح هذا المنهج نموذجاً للدراسات الجامعية .

وكان من الطبيعي أن يرافق الاختلاف والتباين الفكري بين شمال أوربا وجنوبها، اختلاف وتباين في مواد الدراسات الجامعية ،فبينما جامعات شمال غرب أوربا اهتمت بالجدل والمنطق وعلم اللاهوت ، اهتمت جامعات جنوب أوربا بالنحو والبلاغة والقانون (٤٥) .

من خلال ما تقدم نستطيع القول أن تلاحق أفكار الأساتذة المتباينة أيقظت شعوب الغرب بعد سبات طويل عاشت في كنفه قرون عديدة، الأمر الذي أسهم في بعث النهضة العلمية والفكرية الهائلة التي عمت مدارس وجامعات أوربا، وقد انعكست هذه النهضة على النشاط الأدبي والدراسات الأدبية التي احتلت جانباً مهماً فيها، فتم الرجوع إلى التراث الكلاسيكي القديم، وبخاصة الأدب الروماني، والعمل على إحيائه بالرغم من الضعف الذي إصابه في القرون السابقة، وبدأت هذه الحركة في مدينة ريمز الفرنسية ومنها انتشرت إلى باقي المدن (٤٦) .

وهذا ما ولد معارضة من رجال الدين الكنسيين الذي نادوا بمحاربة الأدب الكلاسيكي القديم بحجة أن هذا الأدب مظهر من مظاهر الوثنية التي جاءت المسيحية لكي تقضي عليها، ولكن أمام التيار الجاف الذي أحدثته الجامعات في نشر الفكر الحر الجدلي لم تلق هذا المعارضة استجابة (٤٧)، وهذا يعود إلى النهضة الفكرية التي تخلت عن قيودها، نتيجة الظروف والمؤثرات التي استجبت على مسرح الأحداث وقتذاك، إذ أن الجامعات الأوروبية قد هيأت الأجواء ووفرت العقلية القادرة على رفض الجمود والبحث عن الحرية وتحكم العقل والمنطق في أمور العقيدة، مما جعل المجتمع ساخطاً على كل ما هو قديم ومتعشاً إلى كل ما هو جديد، وكان لأفكار وكتابات أساتذة الجامعات أمثال ابييلارد (٤٨)، و هيريت الديمي (٤٩)، وأشعار هيليدبرت (٥٠)، طلبتها في ميدان البلاغة والنحو ومختلف العلوم الأخرى، وكن هذا نتيجة منطقية لتأثر الطلبة بأستاذتهم .

- البعد الفكري واللغوي للمؤسسات التعليمية في عصر النهضة : مما لا شك فيه أن التحرر الفكري في أوروبا كان ثورة على الجمود الذي ساد الحياة الأوروبية في القرون الوسطى، قد أصبح حراً في أن يختار من العلوم وألوان الثقافة ما يلائم طبيعته وتفكيره غير متقيد بتقاليد الكنيسة وتعاليم رجال الدين المتشدد الذين كانوا يسيطرون على العقول والاتجاهات الفكرية في العصور الوسطى، وكان لهم تأثيرهم الواضح على الأذهان عندئذ، لأنهم كانوا لفئة الوحيدة المتعلمة إلى جانب أقلية ارسنقراطية في المجتمع .

وهكذا أصبح التفكير حراً يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة، ويعمل على توفير كل أسباب السعادة والحياة التي توفر الراحة للفرد، ولم يعد التفكير فيما بعد الموت وأداء الواجبات الدينية هو وحده الذي يشغل الخواطر الإنسانية، وإنما البحث عن أسباب سعادة الإنسان وعناصر الجمال في الحياة، فظهرت الحركة الإنسانية الواسعة النطاق

وهذه الحركة تزعمها أساتذة الجامعات الأوربية، الذين يعتقدون بعدم وجود حقائق خفية لا يجب التعرض لها، كما كان يوحي بذلك رجال الكنيسة (٥١)، فأصبحت المعرفة في حد ذاتها معرفة كل شيء وبالتالي اهتمت الحركة الإنسانية بالبحث عن الحقائق في كنوز المعرفة القديمة الرومانية والإغريقية بصفة خاصة، وهذا ما ساعد على اكتشاف المعلومات الحديثة التي كان يجهلها المجتمع الأوربي من قبل (٥٢) .

وقد تأثر الأوربيون باتصالهم بالعرب في الشرق أيام الحروب الصليبية وتأثروا بما اطلعوا عليه من معلومات مختارة في الطب والجغرافية والرياضيات وما لمسوه من تقدم في بعض الصناعات مثل صناعة الورق والحبر كل هذه الاتصالات جعلتهم يؤمنون بضرورة جمع المخطوطات القديمة ودراستها ونقلها والتعليق عليها .

ولما كانت هذه المخطوطات مكتوبة باللغتين الإغريقية أو اللاتينية، فقد عكف الدارسون على إتقان هاتين اللغتين خصوصا اللغة الإغريقية، إذ أن اللغة اللاتينية كانت هي اللغة الرسمية في الجامعات الأوربية، فازداد عدد المقبلين على تعلمه وتداولها وعندما تم لهم ذلك اظهروا اهتماماً بالغاً بلغاتهم القومية كالإيطالية والانكليزية والفرنسية وغيرها (٥٣) .

وهكذا أصبحت اللغات القومية غير قاصرة على التخاطب والتفاهم بل تجاوزت ذلك إلى البحث والتأليف، ومن ثم كانت النهضة بهذه اللغات واستخدمها على النحو الذي قدم سبلاً مسيرة إلى توصل المعلومات المتنوعة إلى مختلف الشعوب الأوربية، وكان لهذه الناحية أهميتها العظمى، لأن حركة الترجمة من اللغات القديمة إلى اللغات الحديثة "القومية"، أدت إلى ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات القومية، فأصبح من السهل على الأوربي أن يطلع بنفسه على المعلومات الدينية الأصلية وان يعرف ما ادخل عليها من إضافات تتعارض مع أسس الدين، وقد كان رجال الدين يحتفظون بسرية هذه المعلومات ويحرصون على عدم تسربها إلى فئات الشعب حتى يكتسبوا مكانه ومهابة في نفوس المسيحيين، حتى يستغلوها لخدمة مصالحهم المادية المختلفة (٥٤) .

وترتب على هذه الحركة الفكرية الجديدة اكتشاف بعض الحقائق التي كانت خافية على المجتمع الأوربي منذ العصور الوسطى مثل كروية الأرض وحركتها حول نفسها كما كان تقدم فن الملاحة وتطوير بعض الأجهزة مثل البوصلة والإسطرلاب أثره البالغ في نجاح بعض المغامرين الأوربيين في تحقيق أهدافهم الاستكشافية والاستعمارية، فخطوا خطوات متسارعة في هذين المجالين واستطاعوا أن يكتشفوا عالماً كبيراً فيما وراء البحار، فكان لهذه الكشوف أثارها البعيدة في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وكان نتيجة ذلك ظهور طبقة وسطى قوية ثرية، الأمر الذي اوجد تغييراً جذرياً في المجتمع الأوربي الذي كان سابقاً يعيش حياة تتسم بالتخلف والجمود، لا تعدو الزراعة و الفروسية، بعد هذا التغيير فتحت مجالات جديدة للحياة .

ومما تميز به الفكر الحديث ظهور عدد كبير من المؤلفات الحديثة في ميادين العم والأدب والفنون المختلفة، التي ألّفها مجموعه من العلماء والأساتذة في الجامعات الأوربية الذين راجت مؤلفاتهم وأبحاثهم في مختلف الأصقاع، مما سرع في عملية التغيير في المجتمع وقضى على التفكير الديني القديم .

وساعدت الجامعات وأساتذتها على تسريع هذه النهضة، آذ أثرت في تغيير البنية الفكرية للمجتمع الأوربي خصوصاً بعد اختراع الطباعة التي سهلت نشر وتداول الأفكار إذ أن أثمانها انخفضت عن ذي قبل مما جعلها في متناول فئات عديدة وهذا ما سرع في نشر تلك المعلومات .

وهذا ما ساهم في تدعيم وتكوين الفكر الحر الذي اهتم بالبحث والتنقيب والاختبار الشخصي والتجربة، وهناك نتيجة أخرى لنشاط الجامعات الأوربية التي كانت اكبر مشجع ودافع على تكوين المكتبات ورفقها بالمخطوطات والكتب الحديثة لتسهيل عملية البحث الأكاديمي الذي شهد أيضاً انقلاباً جذرياً في مناهجه واتجاهاته، إذ احتضنت الجامعات مجموعة من الباحثين امتازوا بقوة الذكاء وسعة الخيال ووضوح الذهن وعمق الفكر، تمكنوا من وضع فرضيات مفيدة أصبحت بعد

التجربة نظريات وقوانين علمية، وكان ميدان بحثهم واستحداث نظريات، أروقة الجامعات الأوربية والتي تركت أثرها على المدنية الأوربية المعارضة الزاهرة(٥٥)
الخاتمة: أسهمت المؤسسات التعليمية وبشكل ملحوظ في بلورة عصر النهضة الأوربية لما لها من تأثير واضح على الكيان الفكري للمجتمع الأوربي ليس فقط على مستوى مرحلة التأثير وإنما كان خلال نهاية العصور الوسطى لتكون إيذاناً بداية عصر النهضة الأوربية .

إن من الأسس الحيوية التي ساعدت على نشأة المؤسسات التعليمية(الجامعات والمدارس العامة) هي الكنائس والأديرة و الدراسات اللاهوتية بشكل عام.فقد نفذت الدراسات الفلسفية والأدبية والقانونية في الكيان الفكري للمجتمع الأوربي لتستقر فيه وذلك من خلال البعد الديني والعقائدي للفكر المسيحي .

لم تكن الحقبة التي سبقت عصر الانبعاث مظلمة كما شاء بعض الدارسين والمهتمين بهذا الجانب أن ينعتها بهذا الوصف المطلق، وإنما كان لهذا العصر بعض جوانبه الايجابية على الصعيد المعرفي ، خاصة إذا ما عرفنا أن المنطلقات الأولى لعصر النهضة الأوربية قد جاءت منه.

تعد ثقافة الشرق بشكل عام والعرب المسلمين بشكل خاص من الدعائم المهمة التي ساعدت على صياغة الفكر الأوربي خلال عصر النهضة وذلك عن طريق التلاقح الحضاري وترجمة العلوم والمعارف التي وصلت إلى أوربا .

قائمة المصادر والهوامش:

1-Brinton, C.and Others, A History of civilization, vol, New Jersey, 1967, p.203.

٢- كرامب وجا كوب، تراث العصور الوسطى، ج ١، ترجمة محمد بدارن ومحمد

زيادة، القاهرة، ١٩٦٥، ص، ٢٥٣

٣- سعيد عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ج ٢، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٢٢٤.

٤- المصدر نفسه، ص ٢٢٥ .

5- Brinton, C.and Others, Op.cit. p.205.

٦- كولتون، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة وترجمة جوزيف نسيم يوسف ط، ٢، الإسكندرية، ١٩٦٧، ص ٢٣٨ .

٧- وهيب إبراهيم سمعان، الثقافة والتربية في العصور الوسطى ، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١٤٥ .

٨- سعيد عاشور ومحمد انس، النهضة الأوربية في العصور الوسطى وبداية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٤١،

٩- لم تكن جهود شارلمان في أحياء العلوم ونشر التعليم والتي أثمرت ما يطلق عليه اسم النهضة الكارولنجية مولداً جديداً، بمعنى أنها كانت مرحلة من مراحل بناء الثقافة الأوربية التي ابتدأت في القرن السابع واستمرت بصورة بطيئة حتى وصلت إلى درجة النضج في القرن الثالث عشر .

١٠- جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، ط ٢، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣١٦ .

١١- من هؤلاء الأساتذة ثيودولف الأسباني وكان شاعراً رقيقاً وبطرس البيزونى عالم اللغة والنحو اللاتيني والمؤرخ يولس الشماس. لمزيد من التفاصيل عن هؤلاء الأساتذة ودورهم في مدرسة القصر في اكس لاشابل ينظر :

-Ker, the dark ages, London, 1955.

12- Browne, R.A, British Latin selections, Oxford, 1954, p.25

١٣- راوس ، التاريخ الانكليزي، ترجمة محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٤٦، ص ٣٠ .

١٤- إبراهيم العدوي، المجتمع الأوربي في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦١، ص ١٥٩ .

15- Painter, History of the middle ages, oxford, 1966, p.457

- ١٦- سعيد عاشور ومحمد أنيس، المصدر السابق، ص ١١١.
- ١٧- سعيد عاشور، المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، القاهرة ١٩٦٣، ص ٤٩ .
- ١٨- يعقوب.ج.، اثر الشرق في الغرب في العصور الوسطى، ترجمة فؤاد حسنين علي، القاهرة، ١٩٤٦، ص ٢٠.
- ١٩- عبد الرحمن بدوي، فلسفه العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٤٣-٤٤ .
- ٢٠- سبباين.ج-، تطور الفكر السياسي، ترجمة حسن جلال العروسي، القاهرة، ١٩٦٤، ج ٢، ص ٣٢٠ .
- 21-Haskins.C.H.,the renaissance of twelfth century,Cambridge,1928,p.215 .
- ٢٢- جوزيف نسيم يوسف،سلسلة تاريخ العصور الوسطى-نشأة الجامعات في العصور لوسطى، ط١، بيروت، ١٩٨١، ج ٣، ص ١٢١ .
- 23-Haskins.C.H, the renaissance of twelfth century, Cambridge, 1928, p.215.
- ٢٤- جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات، ص ١٢٢ .
- ٢٥- سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى، ص ١٣١ .
- ٢٦- جوزيف نسيم يوسف ،نشأة الجامعات، ص ١٢٨ .
- 27- Haskins.C.H, the rise of universities, p.20
- 28-Rashdall.h.,universities of Europe in the middle ages ,oxford,1936,vol.2,p.151 .
- ٢٩- جوزيف نسيم يوسف ،نشأة الجامعات، ص ١٢٩ .
- ٣٠- لا يوجد اتفاق بين الباحثين على تاريخ محدد لتأسيس جامعة باريس ،فمنهم من يرجعها إلى مدرسة القصر أيام شارلمان، وهناك من يربط بينهما وبين مدرسة ابيلارد، ولكن الشيء الثابت أن هذه الجامعة قد ولدت داخل نطاق كنيسة نوتردام في باريس،لمزيد من التفاصيل حول ذلك ينظر:
- _ سعيد عاشور،الجامعات الأوربية في العصور الوسطى،القاهرة،١٩٥٩،

٣١- كان أول اعتراف رسمي بالأساتذة والطلاب في مدن شمال إيطاليا سنة ١١٥٨م ،عندما اصدر الإمبراطور فريديريك باربا روسا براءة تضمنت الاعتراف ببعض الامتيازات للطلبة والأساتذة في المدن اللومباردية. لمزيد من التفاصيل ينظر :
- C.F.Burckhardt, the civilization of the renaissance, London, 1944 .

٣٢- سعيد عاشور، الجامعات الأوربية، ص٧٦.

٣٣- جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات، ص١٣٦ .

٣٤- يطلق على مساكن الطلبة سابقاً اسم الكليات "colleges" وهي عبارة عن دور يعيش فيها مجموعة من الطلبة في تجمع خاص بهم ،ونشأ هذا النظام في جامعة باريس أولاً وانتقال منها إلى جامعة أكسفورد وكامبردج .

٣٥- نور الدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة، ط٢، دمشق، ١٩٨٥، ص٣٧٧ .

٣٦- ول ديورانت، قصة الحضارة-عصر الإيمان، ترجمة محمد بدران، ط٢، القاهرة، د.ت، ج١٧، ص٤١ .

٣٧- في عام ١٢٥٧م وهب روبرتدي سور بون فنس كنيسة القديس لويس في باريس بيتاً لطلبة جامعة باريس من طلبة علم اللاهوت، وكان عددهم ١٦ طالباً، وتطور هذا البيت إلى أصبح كلية السر بون المتخصصة بدراسة اللاهوت. لمزيد من التفاصيل ينظر : ول ديورانت ،المصدر السابق، ص٤٠.

٣٨- سعيد عاشور، الجامعات الأوربية، ص١٧٣.

٣٩- ول ديورانت ،المصدر السابق، ص٤١.

٤٠- جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات ص٤١ .

٤١- وهيب إبراهيم سمعان، المصدر السابق ص١٨٩ .

٤٢- كرامب وجا كوب ، المصدر السابق ، ص٣٩١ .

٤٣- جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات ص١٤٦ .

٤٤- Brinton and Others, Op.cit. p.305

٤٥- جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات ص١٥٠ .

٤٦- المصدر نفسه، ص ٢٦٦ .

47- Vidler.A.R., the church in an age of revolution, London, 1968, p.215.

٤٨- ولد بطرس ابيلارد سنة ١٠٧٩ وتوفي ١١٤٢ م ، وبعد زعيم نهضة تحرير الفكر في القرن الثاني عشر، ومن أشهر رجال زمانه في علم الجدل، كما انه صاحب فلسفة الشك والتشكيك في كل شيء حتى في طبيعة المسيح. لمزيد من التفاصيل ينظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، القاهرة، ١٩٥٧ .

٤٩- راهب فرنسي من مدينة ريمز الفرنسية امتاز بكتابة التاريخية، له العديد من المؤلفات التي تمتاز بمنهجها الواضح وأمانتها ودقتها. لمزيد من التفاصيل ينظر جوزيف نسيم يوسف نشأة الجامعات، ص ٨٣

50- Poole .R.L., the masters of schools of Paris and charters in Johan of Salisbury's time, London, 1960, p.321.

51-Haskins, the rise of universities, p.294.

52- F.F hay.D. The Italian renaissance in its historical Back ground, Cambridge, 1961, p.55.

53- Burch hardt .I, op.cit. 49.

54- Ibid, p 49.

55- Ibid, p .p 49-5